محاضرة: دولة الأدارسة (172هـ -300هـ = 788م – 913م):

الأهداف

-أن يحدد الامتداد الجغرافي والزمني لدولة الأدارسة.

-أن يميز مراحلها وأهم رجالها

-أن يحلل تأثير الصراعات الداخلية والخارجية على وجودها.

مقدمة

الأدارسة أسرة هاشمية حجازية الأصل تعود إلى آل البيت، جدها الأعلى هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ. وهي ثمرة الصراع العلوي العباسي الذي أدى إلى فرار إدريس ولجوئه إلى المغرب ليقيم كيانا سياسيا لآل البيت. في هذه المحاضرة سنتعرف على دولة الأدارسة في المغرب وأهم مراحلها وكيفية تأثير الصراعات الداخلية والخارجية على وجودها بالمغرب.

الامتداد الجغرافي

تمكن الأدارسة في مرحلة التأسيس والقوة من توحيد البلاد وإخضاع مجموعة من القبائل، فامتدت الدولة الإدريسية من سوس الأقصى جنوبا إلى الريف شمالا وما وراء تلمسان شرقا.

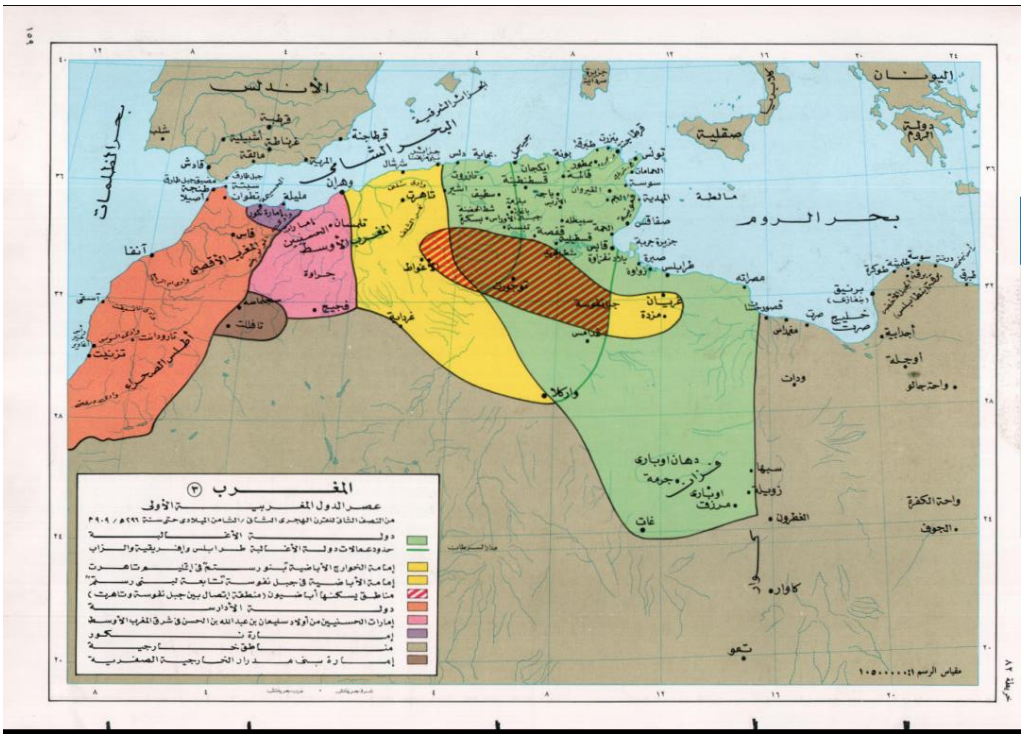

1-مؤسسها إدريس بن عبد الله (172هـ-788م):

اضطهد العباسيون منذ اللحظة الأولى لقيام دولتهم أبناء عمومتهم من العلويين، وأسرف بعض الخلفاء العباسيين في ذلك، فأسفر الأمر عن قيام عدة ثورات، كانت آخرها ثورة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب على والى المدينة في سنة (169هـ=785م)، ولكن العباسيين استطاعوا قمعها، وقتلوا زعيمها ومجموعة من أهل بيته. وكان إدريس بن عبد الله ومولاه راشد ممن فرَّ من أرض المعركة، واتجها إلى مصر، ومنها إلى المغرب الأقصى، ونزلا مدينة "وليلى" عاصمة هذا الإقليم، ثم توجها إلى أميرها وزعيمها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي، زعيم قبيلة "أوربة" التي فرضت نفوذها وسيطرتها على مدينة "وليلي" وما حولها، وعرفه إدريس بنفسه، وأعلمه بسبب فراره من موطنه الحجاز، ولجوئه إلى بلاده، فرحب به إسحاق وآمن بدعوته، وبايعه بالإمامة، وكذلك بايعته قبيلته أوربة، ومعها بقية القبائل في رمضان سنة (172هـ=788م)، ومن ثَم نجح إدريس في تأسيس دولة حملت اسمه بالمغرب الأقصى. لكنه اغتيل وفقدت دولة الأدارسة مؤسسها في سنة (175هـ-791م) بعد ثلاث سنوات ونصف فقط من قيامها. فتولى بعده ابنه إدريس الذي كان قد تركه جنينا في بطن أمه. فمن إدريس الثاني تنحدر فروع الأسرة الإدريسية المنتشرة بسائر أنحاء المغرب وبجهات أخرى في ليبيا والجزائر وتونس ومالي وموريتانيا.

اتفق المؤرخون أن دخول إدريس بن عبد الله إلى المغرب كان في عهد إمارة يزيد بن حاتم بأفريقية وإمارة هشام بن عبد الرحمن الداخل بقرطبة، وأول ظهور بني مدرار بسلجماسة.

2-مراحل الدولة الإدريسية

يجب أن نميز الفترة الزمنية لدولة الأدارسة بمرحلتين: مرحلة ما قبل التقسيم ومرحلة ما بعد التقسيم، تمثل **الأولى** مرحلة التأسيس في عهد **إدريس الأول** ومرحلة التنظيم في عهد **إدريس الثاني** أما **الثانية** فهي المرحلة التي تم فيها التقسيم الدولة إلى ولايات تتمتع بحكم لامركزي بحيث انحسر الدور التاريخي لها في ولاية فاس التي حكمها **محمد بن إدريس الأول** وأبناؤه.

أ-مرحلة ما قبل التقسيم:

تمثل طور التأسيس والهيكلة الذي اقترن بعهد **إدريس الأول** (172 – 177 هـ/ 788-793م) أي قيام الدولة بفضل التفاف قبائل من المغرب حول **إدريس بن عبد الله** ومبايعتهم له، دامت 41 سنة ابتدأت مع إدريس الأول وانتهت بوفاة إدريس الثاني سنة 829م. حيث جرى تدعيم الدولة الناشئة باستحداث عدد من البنيات والمؤسسات كان من أهمها: بناء فاس واتخاذها كعاصمة للدولة؛

واتخاذ بعض النظم الإسلامية كالوزارة والكتابة والقضاء والإمامة؛ وتجريد العاصمة الجديدة من تأثير العصبيات والطابع القبلي، وذلك باحتضانها لفئات مهمة من السكان الوافدين من القيروان والأندلس، مما جعل العناصر المختلفة من سكان المدينة تنصهر في وحدة بشرية تمثل، بوجه عام، التركيب السكاني الجديد الذي بدأ يعم الغرب الإسلامي انطلاقا من عهد الفتح. إضافة إلى بداية إشعاع اللغة العربية من فاس كلغة دين وثقافة، ونمو رقعة المملكة بحيث أصبحت أهم كيان سياسي بالمغرب الأقصى وكان لها اتصال مباشر بسائر النواحي في البلاد.

ب–مرحلة ما بعد التقسيم:

غداة تولي محمد بن إدريس الثاني الخلافة بعد أبيه، اعتبر المملكة التي خلفها له أبوه تركة لا بد من توزيعه على الورثة. وكان للتقسيم سلبيات وإيجابيات، فقد أدى إلى إضعاف السلطة المركزية ونشوء إمارات إقليمية تنزع بطبيعتها إلى الاستقلال الذاتي.

قسم محمد بن إدريس المملكة إلى ما لا يقل عن تسع ولايات، لوجود خلاف بين المؤرخين حول الموضوع:

-**محمد بن إدريس** فاس وناحيتها.

-**القاسم بن إدريس** طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر وتطوان وبلاد مصمودة وما والاها.

-**داود بن إدريس** هوارة وتسول ومكناس وجبال غياثة وتازة.

-**عيسى بن إدريس** شالة وسلا وأزمور وتامسنا.

-**يحيى بن إدريس** البصرة وأصيلا والعرائش إلى بلاد ورغة.

-**عمر بن إدريس** مدينة الليكسوس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة.

-**أحمد بن إدريس** مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا.

-**عبد الله بن إدريس** أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة وسوس.

-**حمزة بن إدريس** تلمسان وأعمالها.

رغم أنه لم يكن في نية **محمد بن إدريس**، عبر التقسيم، تجريد السلطة المركزية بفاس من حقها في مراقبة الولاة الإقليميين والمحافظة على وحدة المملكة الإدريسية، إلا أن الخلاف ما لبث أن نشب بين الإخوة، إذ ثار **عيسى بن إدريس**، على أخيه **محمد**، فكلف هذا الأخير أخاه **القاسم** الوالي على طنجة

بالذهاب لمعاقبة الثائر. والظاهر أن الصلح وقع بعد ذلك بين الإخوة. وحصل نوع من الاستقرار السياسي داخل الإمارات الإدريسية المنتشرة بأنحاء المغرب. فلم تسجل ثورات للسكان ولا معارضة للقبائل. وذلك لاندماج الأسرة الإدريسية في المجتمع المغربي عن طريق المصاهرة والتطبع بأخلاق أهل البلاد مما جعل السكان في مختلف الأقاليم لا يتعاملون معهم كأجانب ودخلاء، بل يعتبرونهم منهم ويحترمونهم ويضعونهم في الصدارة لشرف نسبهم. ويمكننا أن نعتبر أن احترام **الشرفاء** كسلوك شعبي بدأ منذ ذلك العهد يتحول إلى مبدإ سياسي بعد ذلك بعدة قرون.

أ–الأدارسة بفاس:

اعتبرت فاس هي الحاضرة المركزية للدولة بعد الانقسام وتولى فيها أبناء محمد بن إدريس الثاني وحفدته في الفترة ما بين (221–309 هـ)، حيث كثرت العمارة وتوافد إليها المهاجرون من جميع جهات الغرب الإسلامي، مما دعا إلى توسيع المدينة والبناء في أرباضها. وتم بناء جامع الأندلس وجامع القرويين.

ب–الأدارسة والثورات

في عهد يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس (249–252هـ) حدثت أزمة بسبب سوء سيرته. وثار عليه عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي واستولى على عدوة القرويين، ومات يحيى في تلك الأثناء وجاء صهره علي بن عمر فاستولى على المدينة وتولى الإمارة. وبعد فترة من الاستقرار في عهد علي بن عمر، اصطدم بثورة عبد الرزاق الفهري الخارجي وهزمه واضطر للالتجاء إلى أوربة، بينما دخل عبد الرزاق إلى عدوة الأندلس فاستولى عليها إلا أنه صادف مقاومة من لدن عدوة القرويين التي نادى أهلها على يحيى بن القاسم بن إدريس، الذي استطاع أن يحافظ على وجود الدولة الإدريسية بفاس حيث طرد عبد الرزاق الخارجي من عدوة الأندلس وخرج لمقاتلة الصفرية حتى قتل سنة 292.

ج–السقوط على أيدي الفاطميين

وفي عهد **يحيى بن إدريس بن عمر** (292–309 هـ) حصلت أحداث خطيرة لتهدد الدولة الإدريسية في وجودها. فقد قامت الدولة الفاطمية بأفريقية في أواخر القرن الهجري الثالث وسعت لأن تبسط سيطرتها على مجموع بلاد المغرب. وهكذا جاء، **مصالة بن حبوس المكناسي**، عامل الفاطميين على المغرب الأوسط، على رأس جيش لمحاربة الأدارسة، وضرب عليه الحصار بفاس، اضطر إلى الاستسلام وتوصل معه إلى صلح، أمكنه بمقتضاه أن يحتفظ بإمارته مقابل إعلانه الخضوع والتبعية للخليفة الفاطمي. لكنه اعتقله بعد ذلك وأنصاره ثم نفاه إلى أصيلة.

ومنذ انهزام يحي قام صراع مرير بين **موسى ابن أبي العافية** والأدارسة. فقد حاول **الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس المعروف بالحجام** أن يسترجع سلطة الأدارسة، فلم ينجح، واستطاع أن يستولي موسى على ما كان بيد الأدارسة من أراض في شمال المغرب وطاردهم وضيق عليهم الخناق حتى اضطروا إلى الاعتصام بحصن منيع في حجر النسر بجبال الريف. والواقع أن المأساة التي عاشها الأدارسة في تلك الآونة راجعة إلى الصراع الكبير الذي نشب بين الخلافتين الفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس، وكان مسرح هذا الصراع بلاد المغرب، وبخاصة المغرب الأقصى.

وقد حاول الأدارسة أن يحافظوا على استقلالهم وحيادهم في الحرب الضروس الدائرة بين الطرفين. لكنهم، بسبب ضعفهم وبسبب الضغوط العسكرية القوية التي تعرضوا لها، تارة من جهة الفاطميين، وطورا من جهة الأمويين، فلم يجدوا بدا من الخضوع، حسب الظروف، تارة لأولئك وتارة لهؤلاء. ولعل ارتباطهم بالأمويين كان أقوى، نظرا لقصر المسافة بين المغرب والأندلس، لكن اضطراب الولاء انتهى بالحسن بن كنون الحاكم الإدريسي الثالث عشر مواليا للفاطميين ومعاديا للأمويين حتى اغتاله الخليفة الأموي المنصور بن أبي عامر سنة 375هـ/985م. وبذلك انقرضت أيام الأدارسة بالمغرب بموت الحسن بن كنون آخر ملوكهم.

3-إنجازات الأدارسة بالمغرب:

بالرغم من التدهور الذي حصل للأدارسة طوال أزيد من قرن، يمكن القول إنهم قاموا بدور أساسي في تاريخ المغرب:

. فعلى أيديهم تم تحويل المغرب، بصورة فعالة إلى عهد الإسلام الذي عملوا على نشره في أنحاء مختلفة من البلاد.

. بقدومهم جرت أول محاولة لتجاوز القبلية وذلك بتأسيس دولة على النمط الإسلامي لها حاضرتها فاس. فكان عملهم أول انطلاقة فعلية للدولة المغربية في التاريخ.

. مجهودهم على المستوى العمراني باستحداث مدن جديدة أو إنعاش القديمة مع تنشيط الحركة التجارية وإنشاء عدد مهم من دور السكة في جهات مختلفة من المغرب.

الخاتمة:

-الأدَارِسَة سلالة حكمت المغرب الاقصى، أسّسها إدريس بن عبد الله الملقب بإدريس الأول ودولتهم قائمة على عصبية قبلية دينية، فهم علويون من آل البيت، فروا من اضطهاد العباسيين.

-مرت الدولة الإدريسية بمرحلتين الأولى ما قبل التقسيم في عهدي إدريس الأول والثاني، والثانية بعد التقسيم في حيث شهدت صراع الإخوة وانحسار النفوذ في فاس.

-في مرحلة الضعف أخضع الأدارسة أنفسهم لولاء الفاطميين تارة ولولاء الأمويين في الأندلس تارة أخرى، مما أدى إلى إنهاء وجودهم في المغرب سنة 375هـ.